الشمائة به وكان محلا منهم موننا وكان فاسمهم احد فهم غناء مع تجويده وتزوج الوزير هاشم بن عبد العزيز
حمدونة وذكر عبادة الشاعر ان اول من دخل الاندلس من المغنيين علون وزرقون دخلا في ايام الحكم بن
هشام فنفقا عليه وكانا محسنين لكن غناوهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه وقال عبد الرحمن بن الشمر منجم
الامير عبد الرحمن ونديمه في زرياب • يا علي بن نافع يا علي • انت انت المهذب اللوذعي
انت في الاصل حين يا لغنه • هاشمي وفي الهوى عبشمي • وقال ابن سعيد وانشد
لزرياب والذي في منجمه • علقتها ريحانة • هيفاء عاطرة نضيره •
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره • لله ايام لنا • سلفت على دير المطيره •
لا عيب فيها للمتيم غير ان كانت يسيره • انتهى وكان لزرياب جارية اسمها متعة ادبها
وعلمها احسن اغانيه حتى شبت وكانت رائقة الجمال وتعرفت بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه
وتسقيه اخرى فلما فطنت لاعجابه بها ابدت له دلائل الرغبة فابى الا التستر فغنته بهذه الابيات
وهي لها في ظني بعض الحفاظ • يا من يغطي هواه • يا من يغطي النهارا •
قد كنت املك قلبي • حتى علقت فطارا • يا ويلتي اتراه • لي كان او مستعارا
يا بابي قرشي • خلعت فيه العذارا • فلما انكشف لزرياب امرها اهداها اليه
فحظيت عنده وكانت حمدونة بنت زرياب متقدمة في اهل بيتها محسنة لصناعتها متقدمة على
اختها علية وهي زوجة الوزير ابن هشام بن عبد العزيز كما مر وطال عمر علية بعد اختها حمدونة ولم يبق
من اهل بيتها غيرها فافتقر الناس اليها وحملوا عنها وكانت مصابيح جارية الكاتب ابي حفص عمر بن قلهيل اخذت
عن زرياب الغناء وكانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت وفيها يقول ابن عبد ربه صاحب العقد
وكتب بها الى مولاها • يا من يضن بصوت الطائر الغرد • ما كنت احسب هذا الضن من احد
لو ان اسماع اهل الارض قاطبة • اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد • من ابيات فخرج حافيا لما وقف
على ذلك وادخله الى مجلسه وتمتع من سماعها رحم الله الجميع وقال علوية كنت مع المامون لما قدم الشام
فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف بها على قصور بني امية فدخلنا قصرا مفروشا بالرخام الاخضر وفيه بركة يدخلها
الماء ويخرج منها فيسقي بستانا وفي القصر اطيار ما يغني صوتها عن العود والمزمار فاستحسن المامون
ما راى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام فاكلنا وشربنا ثم قال لي غن باطيب صوت واطربه فلم يمر على خاطري
غير هذا الصوت • لو كان حولي بنو امية لم • ينطق رجال اراهم نطقوا
فنظر الي مغضبا وقال عليك لعنة الله وعلى بني امية فعلمت اني قد اخطات فجعلت اعتذر من هفوتي
وقلت يا امير المؤمنين اتلومني ان اذكر موالي بني امية وهذا زرياب مولاك عندهم بالاندلس يركب في
اكثر من مائة مملوك وفي ملكه ثلاثمائة الف دينار دون الضياع واني عندكم اموت جوعا وفي الحكاية طول
واختلاف ومحل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب رحم الله الجميع وذكرها الرقيق في كتابه معاقرة الشراب
على غير هذا الوجه ونصه وركب المامون يوما من دمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني
امية وعلى جانبها اربع سروات وكان الماء يدخلها سيحا فاستحسن المامون الموضع ودعا بالطعام والشراب
وذكر بني امية فوضع منهم وتنقصهم فاخذ علوية العود واندفع يغني • ارى اسرتي في كل يوم وليلة
يروح بهم داعي المنون ويغتدي • اولئك قومي بعد عز وثروة • تفانوا فالا اذرف العين اكمد
فضرب بكاسه الارض وقال لعلوية يا ابن الفاعلة لم يكن لك وقت تذكر مواليك فيه الا هذا الوقت فقال
مولاكم زرياب عند موالي بالاندلس يركب في مائة غلام وانا عندكم بهذه الحالة فغضب عليه نحو شهر ثم رضي عنه انتهى
ونحوه لابن الرقيق في كتابه قطب السرور وقال في اخر الحكاية وانا عندكم اموت من الجوع ثم قال وزرياب مولى
المهدي ووصل الى بني امية بالاندلس فعلت حاله حتى كان كما قال علوية انتهى ولما نعي ابن زرياب [illegible]
ولو لم يستغني الظاعنون لشاقني • حمام تداعت في الديار وقوع • تداعين واستبكين من كان ذا هوى
نوائح ما تجري لهن دموع • ذيلها عباس بن فرناس يمدح بعض الروساء بديهة فقال
شددت بمحمود يدا حين خانها • زمان لاسباب الرجاء قطوع • بني لمساعي الجود والمجد قبلة
اليها جميع الاجودين ركوع • وكان محمود جوادا فقال له يا ابا القاسم اعز ما يحضرني من مالي القبة
يعني قبة قامت عليه بخمسمائة دينار وهي لك بما فيها مع كسوتي هذه وتكون في ضيافتك بقية يومنا
ودعا بكسوة فلبسها ودفع اليه الكسوة **ومن الوافدين من المشرق** الامير شعبان بن كوجا
من قمر الموصل وفد على امير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين ودفع له امرا جليلة وقدمه على امارة
مدينة بسطة من الاندلس قال ابو عمران بن سعيد انشدني لنفسه • يقولون ان العدل في الناس ظاهر
ولم ار شيئا منه سرا ولا جهرا • ولكن رايت الناس غالب امرهم • اذا ما جنى زيد اقادوا به عمرا
والا فما بال النطاسي كلما • شكوت له يمنى يدي فصد اليسرى • **ومن الوافدين من المشرق**
على الاندلس ابو اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني من اهل بغداد وسكن القيروان ويعرف بالرياضي كان كثير
السماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين لقي الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ولقي من الشعراء
ابا تمام والبحتري ودعبلا وابن الجهم ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب واحمد بن ابي طاهر
وغيرهم وهو الذي ادخل افريقية رسائل المحدثين واشعارهم وطرائف اخبارهم وكان عالما اديبا ومترسلا
بليغا شاعرا راويا في كل علم وادب وكتب بديع اكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته وحكي انه كتب الى

كره كتاب سيبويه كله بقلم واحد ما زال يبريه حتى قصر فادخله في قلم اخر وكتب به حتى فني بتمام الكتاب
وله تواليف منها لقيط المرجان وهو اكبر من عيون الاخبار وكتاب سراج الهدى في القران ومشكله واعرابه
ومعانيه والمرصعة والمدبجة رجال في البلاد شرقا وغربا من خراسان الى الاندلس وقد ذكر ذلك في اشعار له
وكان اديبا الاخلاق نزيه النفس كتب لامير افريقية ابراهيم بن احمد بن الاغلب ثم لابنه ابي العباس
عبد الله وكان ايام زيادة الله بن عبد الله اخر ملوك الاغالبة على بيت الحكمة وتوفي بالقيروان سنة ثمان
وتسعين ومائتين في اول ولاية عبيد الله الشيعي وهو ابن خمس وسبعين سنة وممن لم يذكره المؤرخ الا
ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق وقال عريب بن سعيد في حقه انه كان اديبا شاعرا مترسلا
حسن التاليف وقدم الاندلس على الامام محمد بن عبد الرحمن وذكر له معه قصة ذكرها ابن الابار في
كتابه افادة الوفادة وحكي ان له مسندا في الحديث وكتابا في القران سماه سراج الهدى والرسالة الوحيدة
والمونسة وقطب الادب وغير ذلك من الاوضاع قال وكتب لبني الاغلب حتى انقرضت ايامهم
ثم كتب لعبيد الله حتى مات ومن الرواة عنه ابو سعيد عثمان بن سعد الصيقل مولى زيادة الله بن الاغلب
واسند اليه الحافظ ابن الابار رواية شعر ابي تمام بان قال قرات شعر حبيب على ابي الربيع بن سالم وقرات جملة
منه على غيره وناولني جميعه وحدثني به عن ابي عبد الله بن زرقون عن ابيه ابي تمام عن ابي سعيد المذكور
يعني ابن الصيقل عن ابي اليسر عن حبيب وهو اسناد غريب انتهى **ومنهم** ابو اسحاق ابراهيم
بن خلف بن منصور الغساني الدمشقي المعروف بالسنهوري وسنهور من بلاد مصر وروى عن ابي القاسم
بن عساكر وابي اليمن الكندي وابي المعالي الزاوي وابي الطاهر الخشوعي وغيرهم قال ابو العباس النباتي
قدم علينا يعني اشبيلية سنة ثلاث وستمائة وسمى جماعة من شيوخه وحكى انه كان يروي موطا ابي مصعب
وصحيح مسلم بعلو وقال ابو سليمان بن حوط الله اجاز لي ولابني محمد جميع ما رواه من شيوخه الذين منهم ابو النجيب
فناخسر بن فيروز الشيرازي وذكر ان روايته بنزول لانه لم يرحل الا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهذا الشان
وقال ابو الحسن ابن القطان وسماه في شيوخه قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة واستجزته
لابني حسن واجازه واياي وقد رايته انصرف من تونس الى المغرب ثم الاندلس وقدم علينا بعد ذلك مراكش
فلما من الاسر فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهد فيه وانصرف ذلك انصرف
الى المشرق راجعا وقد كان اذ اجاز ابني كتب بخطه جملة من اسانيده وسمى كتبا منها الموطا والصحيحان وغير ذلك
قال وقد برئت من عهدة جميعه لما انبئت عن حاله وحدثني ابو القاسم بن ابي كرامة صاحبنا بتونس ان السنهوري
هذا لما انصرف الى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب لاجل سعاية ابي الخطاب بن الجميل
فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة في اهانته انتهى قال بعض المورخين في حقه ما نصه الشيخ المحدث
الرحالة ابراهيم السنهوري صاحب الرحلة الى البلاد دخل الاندلس كما ذكره ابن النجار وغيره وهو الذي ذكر
لمشايخ الاندلس وعلمائها ان الشيخ ابا الخطاب بن دحية يدعي انه قرا على جماعة من شيوخ الاندلس القدماء
فانكروا ذلك وابطلوه وقالوا لم يلق هولاء ولا ادركهم وانما اشتغل بالطلب اخيرا وليس نسبه بصحيح فيما يقوله
ودحية لم يعقب فكتب السنهوري محضرا واخذ خطوطهم فيه بذلك وقدم به ديار مصر فعلم ابو الخطاب بن
دحية بذلك فاشتكى الى السلطان منه وقال هذا ياخذ عرضي ويوذيني فامر السلطان بالقبض عليه فقبض وضرب
واشهر على حمار واخرج من ديار مصر واخذ ابن دحية المحضر وحرقه ولم يزل ابن دحية على قرب من السلطان الى
حين وفاته وبنى له دار الحديث وهي الكاملية بين القصرين فلم يزل يحدث بها الى ان مات وقد ذكرنا في ترجمة
ابن دحية من هذا الكتاب شيئا من احوال الرواة والناس فيه معتقد ومنتقد وهكذا جرت العادة خصوصا
في حق الغريب المنتسب للعلم • وعند الله تجتمع الخصوم وممن كان عليه لا له ابو المحاسن محمد بن نصر المعروف
بابن عنين فانه قال فيه • دحية لم يعقب ولم تعتري • اليه بالبهتان والافك
ما صح عند الناس شيء سوى • انك من كلب بلا شك • هكذا ذكر ابن النجار واطال
في الوقيعة في ابي الخطاب بن دحية وقال الذهبي قرات بخط الضياء عقب ما ذكر ابن دحية انه قال
لقيته باصبهان ولم اسمع منه شيئا واخبرني ابراهيم السنهوري باصبهان انه دخل المغرب وان مشايخه
كتبوا له جرحه وتضعيفه وقد رايت انا منه غير شيء مما يدل على ذلك وبسببه بنى السلطان الملك الكامل
دار الحديث بالقاهرة وجعله شيخها وقد سمع منه الامام ابو عمرو بن الصلاح الموطا سنة نيف وستمائة
واجازه به عن جماعة منهم ابو عبد الله بن زرقون وقال ابن واصل كان ابو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث
وحفظه الكثير منه متهما بالمجازفة في النقل وبلغ ذلك الملك الكامل فامره ان يعلق شيئا على كتاب الشهاب فعلق
كتابا تكلم فيه على احاديثه واسانيده فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد ايام قد ضاع مني ذلك
الكتاب فعلق لي مثله ففعل فجاء في الثاني مناقضة للاول فعلم الملك صحة ما قيل عنه ونزلت مرتبته عنده
وعزله من دار الحديث اخيرا وولى اخاه ابا عمرو عثمان وقال ابن نقطة كان ابو الخطاب موصوفا بالمعرفة
والفضل ولم اره الا انه كان يدعي اشياء لا حقيقة لها ذكر ابو القاسم بن عبد السلام وكان ثقة قال نزل عندنا
ابن دحية فقال اني احفظ صحيح مسلم والترمذي فاخذت خمسة احاديث من الترمذي ومثلها من المسند ومثلها
من الموضوعات فجعلتها في جزء ثم عرضت عليه حديثا من الترمذي فقال ليس بصحيح واخر فقال لا اعرفه
ولم يعرف منها شيئا فافسد نفسه بذلك وقال سبط ابن الجوزي انه كان يتزيد في كلامه ويثلب المسلمين
ويقع فيهم فترك الناس الرواية وكذبوه وقد كان الملك الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له حاله اخذ منه

Copyright King Saud University